﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ٩٠﴾

[الإسراء: 90]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الـرّبـط بين تـصـريـف الـلـه المعجز، وانتقالهم إلى طـلـب تـفـجـير ينبوع من الأرض

لَمّا ظهرَ إعجازُ القرآنِ معَ المعجزاتِ الأخرى على مَنْ كانَ التَّحدّي واقعًا عليهم، فلزمتهمُ الحجَّةُ، وقُطِعتْ ألسنتهُم، وأفحِموا، وغُلبوا، وبُهتوا، وتحيَّروا، ولم يجدوا وسيلةً للرَّدِّ؛ أرادوا المراوغةَ؛ بأن اقترحوا عليهِ أنْ يأتيَ بالآياتِ[1]، مستهلّين طلباتهم بتفجيرِ ينبوعٍ من الأرضِ.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تَفۡجُرَ﴾: (فجر) أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على التَّفتُّحِ في الأشياءِ كانفجارِ الصُّبحِ، وانفجارِ الماءِ[2]، "ومنهُ تفجيرُ الأنهارِ، وإنَّما هو تشقيقها، ومفارقةُ أحدِ الجانبينِ الآخرَ"، والتَّفجيرُ أنْ تشقَّ الشَّيءَ شقًّا واسعًا كبيرًا، وذُكِرَ في معناهُ المحوريِّ أنْ ينبثقَ الماءُ بعدَ احتباسهِ؛ فيندفعَ بغزارةٍ فاتحًا فرجةً في محبسهِ، ومعنى ﴿تَفۡجُرَ﴾ في الآيةِ: "تشقيقُ الأرضِ؛ لينبعَ الماءُ منها، ومنهُ سُمّي الفجرُ؛ لأنَّه ينشقُّ عن عمودِ الصُّبحِ، ومنه سُمّي الفجورُ؛ لأنَّه شقَّ الحقَّ بالخروجِ إلى الفسادِ"[3].

2) ﴿يَنۢبُوعًا﴾: اسمٌ على وزنِ (يَفْعول) من نبعَ الماءُ؛ إذا ظهرَ[4]، و(نبع) أصلٌ يدلُّ على نبوعِ الماءِ، والموضعُ الَّذي يخرجُ منه يسمّى ينبوعًا[5]، فالعينُ الَّتي يخرجُ منها الماءُ هي الينبوعُ، والجمعُ

(1) النّسفيّ، مدارك التّنزيل: 2/ 276.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (فجر).
(3) الماورديّ، النّكت والعيون: 3/ 272.
(4) السّجستانيّ، غريب القرآن، ص: 512.
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (نبع).

(ينابيع)، وقد يكونُ الينبوعُ بمعنى الجدولِ الغزيرِ بالماءِ، وهو مُفَجَّرُ الماءِ؛ أي: الموضعُ الَّذي يتفجَّرُ بالماءِ، ومنهُ ينبثقُ الماءُ المتجمِّعُ من غيرِ جهدٍ، ومعنى الينبوعِ في الآيةِ "العينُ الجاريةُ، سألوهُ أن يُجريَ لهم عيونًا مَعينًا في أرضِ الحجازِ"[1].

❁ المَعْنى الإِجْماليُّ:

ربْـطُ الكافرين تـصـديـقـهـم، بتفجير ينبوع مِنَ الأرضِ

كانَ مِنْ إبائِهم ونفورِهم أنْ شرعوا في طلبِ الآياتِ المعجزاتِ الَّتي أرادوها وفْقًا لأهوائِهم ونزواتِهم؛ رَوْمًا إلى تكذيبِ رسولهِ ﷺ فكانَ أنْ شرعوا بالقولِ: إنَّهم لنْ يصدِّقوا دعوتهُ حتّى يفجرَ لهم من الأرضِ عيونًا[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة العطفِ في جملة: ﴿وَقَالُواْ﴾:

طلبُ المعجزاتِ مـوصـولٌ بما كانَ من إبايتِهم الإيمانَ

في قولِهِ تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾ عُطفت الآيةُ على ما سبقتْها من إبايةِ أكثرِ النّاسِ، واتِّخاذِهم الجحودَ والكفرانَ طريقًا، ثمَّ جاءتْ مطالبتُهُم بالمعجزاتِ الأخرى[3]؛ فهذا موصولٌ بذاكَ فهما في نسقٍ واحدٍ.

دلالةُ الماضي ﴿وَقَالُواْ﴾ مسندًا إلى واو الجمع:

صـدور الـقـول بـيـنـهُـم وهـم راضونَ بهِ، دليل عـلى تمالئهم عليهِ

في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ﴾ جاءَ فعلُ القولِ ماضيًا مسندًا لواو الجماعة؛ لأنَّ الفعلَ قد وقعَ منهُم حقًّا، والضَّميرُ في فعلِ القولِ راجعٌ إلى أكثرِ النّاسِ الّذينَ أبَوا؛ فإنَّه صدرَ منهم على رِضًا منهُم، وهم متمالئونَ عليهِ عندَ علمهِم بهِ، فالقولُ منهُم جميعهُ أو بعضهُ، لا فرقَ في ذلكَ، ولا يلزمُ أن يكون قولَ الجميعِ[4].

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 5/ 110.
(2) السّمرقنديّ، بحر العلوم: 2/ 328.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 206.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 206.

سرُّ إيثار النَّفي بـ﴿لَن﴾ في السّياق:

تـأكـيـد عـدم إيمانهم، بالنّفي الصّريح له

لمّا أرادوا نفيَ الإيمانِ بما جاءَ بهِ ﷺ عبّروا عن ذلكَ بحرفِ النَّفي ﴿لَن﴾[1]؛ لإفادة تأكيد نفي الفعلِ في المستقبلِ[2] بقولهِم: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ﴾.

دلالة التَّعبيرِ بالمضارعِ ﴿نُّؤۡمِنَ﴾:

عـدمُ إيمانهِم واقـعٌ ومستمرٌّ مـتـجـدِّدٌ؛ لـكـونـهـم متشبّثين بالكفر

استعملَ الفعلَ الدّالَّ على إبائهم الإيمانَ بصيغة المضارع بقولهِم: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ﴾؛ لأنَّ امتناعَ الإيمانِ باللهِ منهم متجدِّدٌ مستمرٌّ؛ لما تعطيهِ صيغةُ المضارع من التَّجدُّدِ والاستمرارِ.

نكتةُ تعديةِ فعلِ الإيمانِ باللّامِ:

تـأكـيـدُ نـفـي التّصديق، دلالة على استمرارهم في المـراوغـة والجحود

معنى الإيمانِ في الآيةِ التَّصديقُ، أيْ: لنْ نصدِّقَ كونكَ رسولَ اللهِ إلينا، فالفعلُ متعدٍّ بنفسهِ، إلّا أنَّ الأكثرَ فيهِ أنْ يعدّى إلى مفعولهِ باللّام[3]، فمجرورُها مفعولٌ في أصلهِ، وإنَّما تُذكرُ هذهِ اللّامُ للتَّبيُّنِ والتَّوكيدِ[4].

سرُّ التّقييد بشبه الجملة ﴿لَكَ﴾، وعود الضّمير فيها:

الـخـطـابُ للرَّسول بخلاف الإيمان به، فهو إيمان العقيدة

أوردَ شبهَ الجملةِ في قولهِ تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ﴾ بعودِ الضَّميرِ عليهِ ﷺ على معنى: نصدِّقكَ، ولم يقولوا: نؤمنُ بكَ؛ لأنَّهُ إذْ ذاكَ يرادُ بهِ الإيمانُ بمعناهُ الاصطلاحيِّ، وهو الإيمانُ باللهِ، أوْ هو إيمانُ العقيدةِ[5]، فيكونُ ضميرُ الخطابِ العائدُ على الرَّسولِ غيرَ مناسبٍ في هذا السّياقِ.

معنى ﴿حَتَّىٰ﴾ ودلالتها:

دلالـة السّياق عـلى أنّ تفجير الأرضِ ينبوعًا، غايةٌ لطلبهِم

لمّا لزمتهُم الحجَّةُ، وغُلبوا؛ تعلَّلوا بما اقترحوهُ من الآياتِ

(1) حرف نفي ونصب واستقبال، وفي معنى التّأبيد والتأكيد خلاف عند النّحويين، ينظر: ابن هشام، مغني اللّبيب، ص: 373 - 374.

(2) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 14/ 8739.

(3) ابن هشام، مغني اللّبيب، ص: 292.

(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 207 - 208.

(5) محمّد الهلال، تفسير القرآن النّريّ: 15/ 90.

المعجزاتِ، وقالوا: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ﴾، فعلَّقوا نفيَ إيمانِهم هذا بغايةٍ طلبوها، وعبَّرَ عنها بـ﴿حَتَّىٰ﴾[1] بقولِهم: ﴿حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا﴾؛ فإنَّ تفجيرَ الأرضِ ينبوعًا غايةٌ لطلبِهم[2].

دلالة تنوُّع القراءات في ﴿تَفۡجُرَ﴾:

القراءتان تصوِّران طلبهم، وتدلّان على ثراء المعنى

اختلفوا في قراءةِ ﴿تَفۡجُرَ﴾ بينَ فتحِ التّاءِ وتسكينِ الفاءِ وضمِّ الجيمِ، وهي قراءةُ عاصمٍ وحمزةَ والكسائيِّ وخلف العاشر ويعقوب، وبينَ ضمِّ التّاءِ وفتحِ الفاءِ وكسرِ الجيمِ مُشدَّدةً ﴿تُفَجِّرَ﴾، وهي قراءةُ ابنِ كثيرٍ ونافعٍ وأبي عمرٍو وابنِ عامرٍ وأبي جعفر[3]، فالتَّفجيرُ مصدرُ الفعلِ المضعَّفِ العينِ (فجّرَ)، وهو يدلُّ على الشِّقِّ باتِّساعٍ وشدَّةٍ ومبالغةٍ، فقراءةُ التَّخفيفِ ﴿تَفۡجُرَ﴾ مضارعُ (فَجَرَ)[4]، وهي تدلُّ على أن طلبهم محال أن يتحقَّق أقلُّه، ولمّا كانَ الينبوعُ هو عينَ الماءِ الجاريةَ الَّتي لا ينضبُ ماؤها، وهو صفةُ مبالغةٍ للماءِ الكثيرِ الغزيرِ[5]، و﴿تُفَجِّرَ﴾ على زنة (تُفَعِّلَ) بالتَّشديدِ دالٌّ على المبالغةِ والتَّكثيرِ[6]؛ كانت قراءةُ التَّثقيلِ متوافقةً معَ سياقِ الآيةِ ودلالتِها؛ فإنَّ العينَ الَّتي لا ينضبُ ماؤها مؤذنة بكثرةِ ذلكَ الماءِ واستمرارِه وغزارتِه وعدمِ انقطاعِه.

وتحسنُ قراءةُ منْ قرأَ بالتَّثقيلِ ﴿تُفَجِّرَ﴾؛ لأنَّهُ أرادَ كثرةَ الأشجارِ مِن الينبوعِ، وإنْ كانَ الفاعلُ واحدًا، كتثقيلِ فعلِ الضَّربِ من الفاعلِ في قولنا: (ضرَّبَ زيدٌ)؛ إذا كَثُرَ منه[7].

(1) إذا انتصب ما بعد حتى، فهي حرف يفيد الغاية أو التّعليل، ناظر الجيش، تمهيد القواعد: 8/ 4177.
(2) القنّوجيّ، فتح البيان: 7/ 452.
(3) ابن مجاهد، السّبعة في القراءات: 384 - 385.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 207.
(5) ابن عطية، المحرر الوجيز: 3/ 484، والشربيني، السراج المنير: 2/ 336.
(6) النّحاس، إعراب القرآن: 2/ 284.
(7) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 21/ 408.

إيثارُ استعمالِ ﴿مِنَ﴾، في قولِهِ: ﴿مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾:

اشتراطهم أن يكونَ الينبوعُ مشاهدًا للنّاسِ، مزيد من اللّجاج والعناد

آثرَ النّظم استعمالَ حرفِ الجرِّ ﴿مِنَ﴾ على (في) في قولِهِ تعالى: ﴿مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ "إشارةً إلى أنَّ الينبوعَ يكونُ مشاهدًا للنّاسِ احترازًا من أن يعجزهُ، ولا يردَّهُ"[1].

دلالةُ (أل) في لفظةِ (الأرضِ):

الأرض المذكورة في الآية، هي أرضُ مكّةَ بمياهِها القليلةِ

الألفُ واللّامُ في قولِهِ: ﴿مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ دالةٌ على العهدِ بقرينةِ مكوثِهم فيها[2]، فهي أرضُ مكّةَ، وقد خصَّصها هنا؛ لأنَّ أرضَها شحيحةُ المياهِ، نائيةٌ عن الجنّاتِ[3].

نكتة تقديمِ ﴿لَنَا﴾ و﴿مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ على ﴿يَنۢبُوعًا﴾:

بيان غرابة طلبهم تفجيرَ الينبوع في أرضهم دون سواها

قدَّم شبهَي الجملتين على المفعولِ في قولِهِ: ﴿لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾؛ لإفادةِ القصرِ، أي: فجِّرْ لنا وحدَنا من أرضِنا هذهِ – وهي مكّةُ – ينبوعًا، وهو قصرٌ حقيقيٌّ؛ فإنَّهم أرادوا الاستئثارَ بهذهِ الخصّيصى، فضلًا عن محاولةِ تعجيزِهِ.

سرُّ التّعبيرِ بلفظ ﴿يَنۢبُوعًا﴾ دونَ غيرِهِ:

التّعبير بصيغةِ المبالغةِ للإشعارِ بأنَّهم يريدونَ ماءً غزيرًا

عبَّر بلفظةِ ﴿يَنۢبُوعًا﴾ ووزنُها (يَفْعول)، مثل: (يَعْبوب)؛ إذا عبَّ الماءَ عبًّا، وكانَ زاخرًا[4] دونَ غيرِها من المسمّياتِ كالعينِ ونحوها إشعارًا بأنَّهم ما طلبوا من الماءِ ما يكفيهِم، ويسدُّ حاجتَهُم فحَسْبُ، بلْ هم يريدونَ من الماءِ ما كثُرَ وغزُرَ؛ فلا ينقصُ وقتًا ما؛ بدلالةِ الياءِ في اللَّفظِ فإنَّها دالَّةٌ على المبالَغةِ[5]، والمبالغةُ هنا متصوَّرةٌ بعدمِ انقطاعِ ماءِ الينبوعِ.

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 3/ 76.
(2) القونويّ وابن التّمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 11/ 586.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 207.
(4) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 16/ 229.
(5) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 8/ 429.

الغرض من تنكيرِ لفظ ﴿يَنۢبُوعًا﴾:

عبَّروا عن طلبِهم بقولهم: ﴿يَنۢبُوعًا﴾ بصيغةِ التَّنكيرِ؛ للمبالغةِ في إنكارِ تصديقهِ ﷺ كأنَّهم يطلبونَ أيَّ ينبوعٍ، مع أنَّ القرآنَ الكريمَ أعظمُ آيةٍ وأدومُها.

المبالغة في إنكارِ تصديقِهِ، كأنَّهم يـطـلـبـونَ أيَّ ينبوعٍ، زيادة في التّحدّي

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والعشرون،
سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والعشرون، سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 29 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-26-5
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 29 : المجلد التاسع والعشرون، سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-26-5
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6484549 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»